جسراً على الماء فيصلون الى اسفل المغارة وهناك يمدون آنيه وقدوراً كثيرة وبعد ان يملوا ذلك يعودون الى الجبل الايسر المقابل للمغارة فيرمون من موطنهم حجارة تسقط على ما هناك من الخلايا الظاهرة المملوءة عسلاً وتدهور ما فيها من الشهد في الآنية المعدة لقبوله آنية وضعت عند أسفل فوهة المغارة فاذا تم ذلك الى الاكراد واخذوا ما وقع فيها ويقولون ان عسل تلك المغارة من اقل ما يكون في ربوع الكرد، ومما هو جدير بالذكر ان اولئك الناس يستخرجون العسل من تلك المغارة من مدة ٢٠٠ سنة على تلك الصورة وهو لا ينفد وربك عليم فوق كل ذي علم .

ابرهيم حلمي

الماء في النجف (١)

L'installation de machines hidrauliques à Nédjef.

النجف لم تسم بهذا الاسم الا لعلوها عما يجاورها من الاراضين . لان النجف في اللغة الارض المستديرة المشرفة على ما حولها ولعلو هذه المدينة عما حواليها لا يصل اليها ماء البتة لانها غير راكبة على نهر ولا على مجرى ماء عذب وارضها كلسية البنية في بعض الانحاء ورملية التركيب في الجهات الاخرى . وهي تبعد عن الشريعة (وهي قرضة من قرض الفرات الواقعة في جانبها الشرقي) ستة كيلومترات وترتفع سطحها عن منسب النهر المذكور ٣٤ متراً . ومن هذا الوصف المجمل يتضح لك ان النجفيين قاسوا من أعذبة العطش امرها وذلك منذ العهد الاول من سكنى الناس اياها اى منذ بدء الاسلام الى يومنا هذا .

وقد كانت مياه الفرات تتدفق في سابق الزمن في موضع قريب من هذه المدينة فتتجمع فيه فتنشأ هناك بحيرة عرفت باسم « بحر النجف » ولكون الارض رملية كانت تلك المياه تمتزج بها فيجيء الماء ملحاً وقد سد منفذه في

(١) اقتبسنا بعض الافادات المدرجة في هذه المقالة عن جريدة الزهور البغدادية في عددها ٣٥٧ الصادر ليوم الجمعة ٢٢ ربيع الاول ١٣٣١ = ٢٨ شباط ١٩١٣ من مقالة لها في صدرها الكاتب المتحلي لنفسه اسم « فراتي »

في عهد السلطان عبد الحميد لتزرع تلك الاراضي بعد انحسار الماء عنها فنشف اغلب ذلك البحر وزرع جانب منه فانتفع به بعض الناس. وفي الجانب الغربي من البلدة المذكورة سفوح وشعاب عليها آثار تدل الباحث على ان هناك كانت المياه تتلاطم. وهذا مايؤيده تاريخ علم طبقات الارض الذي يصرح بان البحر كان ينقطع عند تلك الصخور القديمة. وقد نبه على ذلك علماء الافرنج في كتبهم التي تبحث عن هذه الديار وقد سبقهم الى ذكر هذه الحقيقة العرب. قال ياقوت في مراصد الاطلاع في مادة الحيرة: «انها على ثلاثة اميال من الكوفة على النجف. زعموا ان بحر فارس كان يتصل بها.»

وليس في النجف نفسه مايرشد الباحث الى ان الناس سكنوه قبل الاسلام والظاهر ان اغلب من توطنه جاء اليه بعد الحنيفية بقليل لوجود قبر علي بن ابي طالب فيه ومجاورة محييه له. ولما كان الماء من اول واجبات الحياة بل وقوامها الاعظم، وتلك الارض خالية منه سعى كثيرون في نقل الماء اليها بوسائل مختلفة منهم بالقرب ومنهم بالآبية ومنهم بحفر الانهر وشق القنى. وممن ذكر التاريخ اسمهم بالشكر والمديح بنو بويه فانهم طلبوا الماء في اعماق الصخور فنقبوها حتى بلغوا احشاءها وحفروا فيها آباراً واسعة بعيدة القعور حتى وصلوا فيها الى ٦٠ متراً ولكن لما رأوا ان الماء لم ينبط واله ورآء تلك الصخور بمئات من الاذرع(١) بنيت تلك الجباب الفارغة من ابين الادلة على ما لبني بويه من بعيد الهمة. وفي نحو سنة ٦٦٢ هـ (= ١٢٦٣م) حفر علاء الدين عطاء الملك الجويني عامل بغداد من قبل هولاكو نهراً شقه من الفرات الى النجف وما ابطأ ان ردمته الرياح السافيات.

ولما اخذ الصفويون يشيدون بعض المباني والمعاهد والقبور المكينة في النجف وانشأوا الصحن والحضرة على الطرز الحالي تضاعف سكان البلدة لكثرة ما جاءها من العملة والصناع ولتحسن سكناها فقدم اليها زرافات من الامامية لمجاورة تلك البقعة فاضطر الشاه اسماعيل الى حفر فقر(٢) سنة ٩١٤ هـ = ١٥٠٨م

(١) كذا جاء في مقالة احد النجفيين. ونظن ان في هذا الكلام مبالغة لاتخفى على الباحث لان مثل هذا الحفر يحتاج الى ادوات كاملة بالغة حد الاتقان.

(٢) الفقر جمع فقير وهي آبار ينفذ بعضها الى بعض. والفقير ايضاً المكان السهل

سموها «قناة» لكي تمد السكان بالماء الكافي للشرب وهي نفس القناة التي كان حفرها علاء الدين عطاء الملك الجويني وسماها «نهر الشاه» الا انه لم يجبِ عذباً سائغاً لان ماء الفرات كان يختلط بماء الآبار فياخذ منه شيئاً من الملوحة ويصبح اجاجاً فيضر ولا ينفع.

وقد قال احد سواح الفرنسيس(١) في صدد ماء النجف وحفر قناة له ما هذا تعريبه: ان ارض «مشهد علي» في غاية النشف واليبوسة حتى انه لا يمكن للانسان ان يتصورها. ولا يرى هناك الرائي الا مشاهد هائلة واكواماً من الرمال تلهبها الشمس لهيباً في ايام القيظ. وكان يضطر سكان هذا الوطن سابقاً الى ان يذهبوا الى الفرات لياخذوا منه الماء. لكن منذ مدة ١٥ سنة (اي في سنة ١٧٩٣م = ١٢٠٨هـ) ابتى اخ ملك المغول قناةً كلفته مبالغ باهظة ومع كل ذلك لم يتمكن البناة من ان يجعلوها على ما كان في خاطرهم لكثرة ما ينتاب المدينة من زوابع الرمال التي تثيرها الرياح اثارة شديدة وتذريها بعد ذلك حتى انها كانت تردمها ردماً لولا ان الموكلين بحفظها يعنون بتنظيفها كل سنة...»

ولهذا بقيت مسئلة جر ماء النجف من الفرات من اعقد المسائل بل اعقد من ذنب الضب فلما رأى ذلك صاحب المكرمة علامة عصره، ابو الطائفة الجواهرية الشيخ محمد حسن، اندب المثرين واهل اليسار من الفرس ليسقوا نهراً يروي الظمأى ويسقي الاراضين ويلطف حرارة الهواء ويفرش الارض بساطاً من الخضرة فامطر عليه اهل المال الاصفر الرنان تلبيةً لطلبه وشرع بشق النهر وكان العملة مئات بل الوفاً وكان هو يقوم بينهم وينشطهم في اتعابهم بانواع الوسائل وهم يفرغون كل جهدهم في تحقيق امانيه باتخاذ

يحفر فيه ركايا متناسقة فتصل بعضها ببعض وربما انتهت الى نهر كبير اتخذ منه الماء كما هو الامر في هذه الآبار النجفية.

(١) هو الاديب روسو في كتابه «وصف باشالك بغداد» المطبوع في باريس سنة ١٨٠٩ م في الصفحة ٧٦ — J. B. Louis Jacques Rousseau. — Description du Pachalik de Bagdad.

ضروب الآلات والادوات لتفتيت الحجارة وقلع الصخور من مواطنها واستعملوا لهذه الغاية البارود الناسف وبذلوا كل مافي ذراعهم من القوة وما في قلبهم من الشغف بالأمة ليخرجوا الامنية من عالم الخيال الى عالم المثال حتى بلغوا في سعيهم مالم يبلغه من سبقهم . ثم جاؤوا بحراقة ركبها الشيخ وكان الجمهور المتألب على ضفتي النهر يصفقون لكونهم ظفروا بما اجتادهم من علو الهمة وبعد الغاية وكانت مياه الفرات تتدفق وتتدافع وتتصافق كأنها تشترك بهذا الفرح وتهنئ الفائزين بفوزهم المبين ومازالت الحراقة تسير والماء يحملها حتى وصلت باب النجف فاذا الارض هناك اعلى من مشق النهر فوقفت لوقوف الماء . وتولى الفرحين من الحزن والكآبة مالا يصفه قلم واصف وبقيت فوهة ذلك النهر مفغورة فغر فم الاخرس يحاول النطق ولا يستطيع . واخذت السافيات تدفن فيه الامال بل القلوب ولم يبق من ذلك المشروع الكبير الا الاثر وهو يسمى اليوم « كرى الشيخ » (وتلفظ ظاءاً بالجيم المثلثة المكسورة وكسر الراء والياء)

ذهب قوم وجاء قوم آخرون وودوا من جديد تحقيق جر الماء الى النجف فجاء السيد « اسد الله » وهو من كبار بيوتات اصفهان ونحت في باطن الارض سوهقة (اي كاريزاً) وركب عليها طاحونتين . وارصد لهذه المرة مايكفل بقاءها من المبالغ لاصلاح مايقع في مشروعه من الخلل على توالي الايام . ولكن مالبث ان دخل في خبر كان كما دخل غيره فيه .

وفي ايام السلطان الخليع عبد الحميد خان خط نهر ضيق في الجهة الشمالية من البلدة وسمي « الحيدرية » ولم يفد اكثر ماأفاد غيره . لان كثبان الرمال كانت تنهال على مشقه عند هبوب الرياح فكانت تردمه ويصبح كأنه سنام البعير . فلا يمكن للماء ان يتعداه فلما انتبه اولياء الامر لهذا الحادث الذي لاعهد عنه غرسوا اشجاراً على مجاريه لتقف في وجه الرمال وتصدها عن مهاجمتها له وتكون بمنزلة الاسداد ولبث الموكلون بهذا الشان يتعهدون اشجار الصفصاف بالسقي حتى كلوا وملوا فذبلت ويبست وعاد كل شيء الى حالته الاولى واصبحت تلك السوهقة في حفارة القيظ مقر الدويبات والحشرات ومستنقعاً تغزر فيه الافذار والادران . واصبح ماؤها ضاراً لانافعاً بل اصبحت كبدن المسلول او

الهموم تارة يعرق فيسيل رشحه فيغدو ذاك الماء مع ما يرسب فيه عصيدة وحلة لا اسم لها ولا وصف . وطوراً يضطرم ذلك البدن فيجف قطره فيصبح صلصالا لا تعرف حقيقته .

فما تقدم بسطه يتبين للقارئ ان لا علاج لهذا الداء العضال سوى امر واحد وهو ان يتفقد الارض احد المهندسين البارعين ويخطط فيها نهراً يختلف غور حفره باختلاف ارتفاع الارض وانحدارها ويقيم على فمه آلة بخارية تغترف الماء من الفرات وتدفعه دفعاً عنيفاً الى مندفقه . ويقوم بالنفقات احد الرجال الاغنياء او احدى الشركات ينشئها ابناء النجف وحينئذ تحقق الامنية فيسقي النجفيون ماء سلسبيلا ويحقق هذه الامنية بجلب لنفسه كل محمدة فيجمع فيها شرف البوبهي والجوبي والصفوي والمغولي والجواهري والاصفهاني والعثماني فيفوز بقصب السبق وحده دون غيره ويخدم الوطن خدمة لم يسبقها سابق ولا يوجد اليوم في النجف رجل كبير الهمة محب خير الامة مثل السيد العظيم الاقتدار جواد الكليدار (١) . فانه اخذ على نفسه ان يؤسس شركة تجلب قساطل (اي انابيب) من حديد ويحصل ما في الصدور من دواعي السرور على ما اشرنا اليه قبيل هذه السطور وقد منحتها بلدية مركز الولاية الرخصة بجلب الآلات والانابيب وسائر الادوات وتتعهد الشركة بدفع ربع الربح الى البلدية فتكون الخطة على الوجه الاتي تقريباً :

تجلب ثلاث مكاين بخارية (مكائن) قوة كل واحدة منها ٦٠ حصاناً . اثنتان منها تشتغلان والثالثة تبقى واقفة تشتغل عند الحاجة الى اصلاح احدى الاثنتين . وقيمة كل مكينة من هذه المكاين ٧٠٠ ليرة عثمانية . ويحتاج اليها من الانابيب ١٠٢٠٠٠ متر يكون قطر الانبوب ١٢ قيراطاً (اي انجاً) او ٣٠ سنتيمتراً ونصفا وقيمة كل متر من هذه القساطل ليرة عثمانية . وعليه تبلغ النفقات من اول غرش يصرف الى آخره نحو ١٥٠٠٠٠ ليرة او ٣٤٥٠٠٠ فرنك. وان بالغت في النفقات فلا تظن انها تتجاوز نصف مليون فرنك وهو مبلغ لا يذكر

(١) الكليدار القيم والكلمة مركبة من كليد وهو الاقليد اي المفتاح باليونانية ودار اي صاحب وهي فارسية . والمراد به هنا هو صاحب التاجية الشهيرة في التاريخ وهي ارض تمتد من الكوفة الى حدود الشامية ومساحتها اليوم ٤٠٠٠٠٠ دونم والدونم الف متر مربع وقد اخذ يزرعها بعد ان اشتراها بوراً .

بالنسبة الى النتائج التي يأتيها من احياء الموات والموتى . واذا ابت الشركة ان تتم ماتعهدت بالقيام به فان السيد جواد الكليددار ذو ثروة طائلة يستطيع ان يصرف وحده المبلغ المذكور بدون ان يصيب يسيره ادنى خلل . حفق الله الامانى . وابعد عن اولى العزم انواع التراخى والتوانى !

فوائد شتى

اول انجيل عربى طبع فى حلب الشهباء

ادعاماً لما ذهبنا اليه من قدم وجود المطبعة فى حلب الشهباء نقول : اننا رأينا عند يعقوب افندى لهوم سركيس انجيلاً مطبوعاً فى حلب وقد جاء فى آخر مقدمته : « اثناسيوس يرحمه الله تعالى البطريرك الانطاكى وسائر المشرق سابقاً » . والكتاب خال من ارقام الصفحات وهذا الكلام يقع فى الصفحة ٩ منه وقد نأى عن الارقام كتابة اول كلمة الوجه التالى فى آخر الصفحة خارجاً عن الاطار . وقد ورد مكتوباً فى آخره : « وطبع حديثاً بمحروسة حلب المحمية سنة ١٧٠٦ مسيحية »

فوائد لغوية

معنى المراجل فى قولهم : سوى اوعمل مراجل ، طلع اوبين او روى (اى ارى) مراجل .

وقع حديث بين اديبين مسلم ونصرانى . فقال المسلم لصاحبه : هل فكرت فى معنى قول وطنيينا : فلان سوى اوعمل مراجل ، طلع اوبين اوروى (اى ارى او اظهر) مراجل ؟ التى يرادفها عند الفصحاء : « تظاهر بالعظمة او بما يكسبه فخراً اوعزاً اوكبرياء اوتفسح فى الكلام اوتطاول بفتحة اوارا ما يفتخر به ؟ faire montre, ou faire parade d'une chose. — قال : لا — قال : ان هذه العبارة ترتقى الى عهد الانكشارية فانهم كانوا اذا ارادوا مقاتلة العدو اتخذوا المراجل وهى القدور (اوالدسوت) الكبيرة واخرجوها معهم لكى لا يحتاجوا فى الطريق الى طلب الطعام من اهل البادية اومن غيرهم